أدبيات الحديث في مجالس كتاب الأدب الكبير

لابن المقفع (١٠٦هـ-١٤٢هـ)

إعـــــداد

د. فاطمة حسن السراحنه

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية - كلية الآداب

الجامعة الهاشمية - الزرقاء - الأردن.

Email: f.hu.2020@gmail.com

DOI: 10.21608/aakj.2023.190927.1408

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/١/٣١م

تاريخ القبول: ٢٠٢٣/٢/١٧م

ملخص:

مثّل ابن المقفع صورة الرّقيب في المجتمعات الناشئة في الدولة العباسية الجديدة، والمرشد المعلم بامتلاك لغة إشارية تضبط آليات الخروج على أدبيات الحديث والحوار والتخاطب في المجالس، وتكبّح صور التمرد على الأخلاق، وفي الوقت نفسه يتحرك بحيوية مع أحداث الحياة وتغيراتها، وما يجب أن يكون عليه الإنسان، وينطوي فضاء النص على المتناقضات التي تجعل ردود الأفعال مختلفة وبها يصل إلى النموذج المثال.

وتأسيساً على ما سبق، فقد وضع ابن المقفع السلوكيات المسكوت عنها تحت المجهر وضخّمها؛ ليتجنبها المجتمع ولما تمور به من ردود فعل سلبية مسيئة، ومكبوتات تحفز على التنافر والبعد عن التماسك.

إنّ الفعل الإنسانيّ في نصّ ابن المقفع يقترن بالقيم الأخلاقية الرفيعة، فيغدو فيه قول الإنسان وحديثه الفاعل من العناصر المهمة للخروج من دائرة السّلب إلى إطار الإيجاب والانجذاب، إذ يُسهم نجاح العملية التواصلية في تغيير سلوك المجتمع، وتكمن وظيفة ابن المقفع الإيحائية في إحساسه بالمسؤولية تجاه مجتمعه، وسعيه الدائم للإصلاح في مؤلفاته.

الكلمات المفتاحية: الحديث، الأدب الكبير، ابن المقفع.

Abstract:

The Ethics of Speech in the People's Assembly of Great Literature by Ibn Al-Muqaffa

Ibn al-Muqaffa represented the image of the observer in the emerging societies in the new Abbasid state and the mentor teacher by possessing a sign language that regulated the mechanisms of breaking the ethics of speech in the people's assemblies and suppressed images of rebellion against morality. At the same time, it moves with vitality with the events and changes of life and what a person needs, and the text's contents include the contradictions that cause different reactions and with which he reaches the ideal model.

The human act in Ibn al-Muqaffa's text is associated with lofty moral values, in which a person's saying and his active speech become one of the important elements to get out of the circle of negation into the framework of positivity and attraction, as the success of the communicative process (communication between people) contributes to changing the behavior of society, and the function of Ibn al-Muqaffa's text lies suggestive in his sense of responsibility towards his society and his constant quest for reform in his writings.

Keywords: Speech, Great literature, Ibn Al-Muqaffa

مقدمة:

ترتقي الأمم وتنهض بجملة من الأخلاق التي تضرب في أعماق ثقافتها، وتحقق قدراً من التوازن في العواطف والانفعالات، وتُدرك بالتمسك بها الإحساس بالجمال، وتنزلق في المهالك والمخاطر والعداوات إن تخلت عنها.

وتنطوي آداب المجالس ومهارة التحدث فيها على قيم رفيعة أرساها الإسلام تسمو بالأخلاق وتتصل بمبادئ وقواعد الحوار، وتتجلى قيمتها في التواصل بين الناس وتبادل الأفكار، وتحقيق المطالب وتسهيل نيل الحاجات، وترتقي حينما تصل حدّ إصلاح المجتمع ومناقشة أموره.

وقد انعقدت للعرب مجالس تسمو بالدين والعلم والأدب واللهو، ونهلوا فيها معرفة وأدباً، وتجاذبوا أطراف الحديث وحلو الكلام، وحظوا بالمتعة والراحة والاستجمام.

وينتظم الحضور الإنساني على العلاقات الإنسانية التي تتأسس على الودّ، ويسعى فيها الفرد إلى العيش ضمن المنظومة الاجتماعية، ويرفض الوحدة والانعزال.

وقد حظي التحدث في المجلس باهتمام بالغ، وظهرت منافع الحديث وقيمته في رفع مقام المتحدث ونشر الفضيلة والحثّ على البعد عن الافتراء والكذب واللغو والنميمة لما فيها من إساءة للمتحدث، فبعض الحديث يشي بأمراض المجتمع وأسقامه وتطرف أفراده ويكون فيها حب الذات وحب الظهور.

وفد اشتملت الدراسة على مفهوم آداب الحديث وما يقتضيه الحديث من آداب، ومن ثم تناولت كتاب الأدب الكبير ومنزلة ابن المقفع، وتطرقت بالتحليل إلى ما تجلّى في كتاب الأدب الكبير من أدبيات حول الحديث، من مثل:

انتحال رأي الناس والكذب والافتراء

ثقافة التأني والتمهل

ظهور الذات ومدحها

اللسان أداة مصلتة

الشتم والذم

مراعاة حال المستمعين

التمادي على الجالسين

تعقب الحديث

أهل البلاغة والتكدير على أصحاب النعم في الحديث

التسرع في الرد

محادثة السفيه

وبما أن الدراسة عنيت بنصوص من كتاب الأدب الكبير وتغلغلت في المجالس، وما يصدر فيها من أحاديث وجلبة وضوضاء وردود أفعال، فقد أفادت من المنهج التحليلي للوصول إلى الدلالة والمضمون وجماليات النص.

مفهوم آداب الحديث:

عُني الإسلام[١] بالمجتمع وأحاديثه التي تدور في أماكن جلوسهم، وأرسى المبادئ التي يجب أن يتكلم بها مع الآخرين ليدفع بها الأذى، ويجلب بها المنفعة.

ويُعدّ الحديث مع الناس فناً وحاجة ضرورية أساسية، وعلى العاقل أن يتعلم من أدب الحديث وفنونه ما يصل به إلى القلوب، ويُراعي في حديثه فقه الكلمة، وخطورة اللفظ؛ ولذلك فإنّ أدب الحديث والتخاطب يتحقق بالعلم والعقل[٢].

تنتظم كلمة الحديث من حدث التي تعني " الخَبَرُ يأْتي عَلَى الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَالْجَمْعُ: أَحاديثُ، كَقَطِيعٍ وأَقاطِيعَ ،... عَنَى بِالْحَدِيثِ الْقُرْآنَ؛ عَنِ الزَّجَّاجِ. والحديثُ: مَا يُحَدِّثُ بِهِ المُحَدِّثُ تَحْديثاً؛ وَقَدْ حَدَّثه الحديثَ وحَدَّثَه بِهِ. الْجَوْهَرِيُّ: المُحادثة والتَّحادُث والتَّحَدُّثُ والتَّحْديثُ: مَعْرُوفَاتٌ. ابْنُ سِيدَهْ: وَقَوْلُ سِيبَوَيْهِ فِي تَعْلِيلِ قَوْلِهِمْ: لَا تأْتيني فتُحَدِّثَني، قَالَ: كأَنك قُلْتَ لَيْسَ يكونُ مِنْكَ إِتيانٌ فحديثٌ، إِنما أَراد فتَحْديثٌ، فوَضَع الِاسْمَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ، لأَن مَصْدَرَ حَدَّث إِنما هُوَ التحديثُ، فأَما الحديثُ فَلَيْسَ

بِمَصْدَرٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث؛ أَي بَلِّغْ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ، وحَدِّث بِالنُّبُوَّةِ الَّتِي آتَاكَ اللهُ، وَهِيَ أَجلُّ النِّعَم. وَسَمِعْتُ حِدِّيثى حَسنَةً"(٣).

وأتى القاموس المحيط لتأكيد المعنى ذاته " كل ما يتحدث به من كلام وخبر"(٤)، وذهب صاحب تاج العروس إلى الدلالة نفسها: فالمحادثة و"التحادث والتحدث والتحديث، الحَديثُ (: الخَبَرُ) ، فهما مُترادِفانِ، يأَتي على القَلِيلِ والكثير"(٥).

وهكذا فإنّ الحديث يرتبط بعملية التواصل الكلامي والشفاهي، وإنّ الأخبار في العادة تُنقل بالأحاديث، ويشتمل الحديث على أفكار يتم إيصالها لفائدة، قد تنقل فيها أفكار ومعلومات وأخبار، ويتسع في دلالته فيشتمل على كلام يصدر من أحدهم ويُستمع إليه، وقد يتطلب محاوراة تجرى بين اثنين فأكثر، وقد يكون استماعاً، ويكون كذلك سؤالاً يُلقى وإجابة عنه، و " يؤثر التحدّث مع الناس على كل نواحي الحياة وعلاقات التواصل بين البشر؛ حيث إنه يعني القدرة على توصيل الأفكار إلى الآخرين وإقناعهم بها" (٦).

ويقتضي الحديث الالتزام بمحاور أساسية، يبتعد فيها المتكلم عن مفردات النفي والإقصاء والتعالي، ونبذ التعصب والتجرد والاقتناع بامتلاك الحقائق الثابتة(٧).)

إن مستوى اللغة في الحديث يرتقي، ويتكئ على حكمة المتحدث الذي لا يستسلم لهيمنة الذات المستعلية، فيتقصى وجه الحقيقة، كما لا يستأثر بالكلام، ويستطيل في الحديث (٨)، وأن يُنهي" الحديث والناس متشوقة للمتابعة، مستمتعة بالفائدة"(٩).

إن التخاطب من وجوه الحديث، وهو من شعب اللغة الذي صار مفتوحاً" ففيه "التبليغ"، وتبليغه تنشأ فيه المعاني مشتركة بين ذوات مختلفة؛ وفيه "التدليل"، وتدليله يجعل من كل قول "دليلاً" على "مدلول" يطلبه الغير في نفسه أو في أفقه. وفيه "التوجيه"، وتوجيهه يبثّ في الأقوال قِيماً تستنهض همة الغير للعمل"(١٠).

كتاب الأدب الكبير ومنزلة ابن المقفع:[١١]

حظيت الأخلاق عند ابن المقفع بعناية واضحة، واعتمد فيها على ثروته اللغوية في تقديم رؤيته الأخلاقية ولغته التصويرية التي قدّم فيها المشاهد المختلفة بألوان البلاغة التي كثفت المشهد، كما أسهمت الإيحاءات اللفظية المتسلسلة في إضفاء التعبير في النهج التواصلي. ويتأسس كتاب الأدب الكبير على ثقافة الرفض التي تبناها ابن المقفع، حينما تعرض للعيوب وضخمها، فهو يتوق إلى بناء مجتمعي صفته الأخلاق الفاضلة في كل جوانب الحياة.

والمقصود بالأدب ترويض النفس وتهذيبها وتطهيرها من الشوائب وتزكيتها حتى تصبح الفضيلة ركنها الركين، أما وصف الكتاب بالكبير، فقد "شاع استخدام هذا التعبير في ذلك العصر، فقالوا كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، وأحياناً يحذفون كلمة " كتاب"، ويبقون الوصف فيقولون: السير الكبير والسير الصغير لمحمد بن الحسن الشيباني، ومن هذا الأدب الصغير والكبير؛ فليس الصغير والكبير وصفين للأدب، ولكن للكتاب المفهوم ضمناً"[١٢].

ويُعدّ كتاب الأدب الكبير أوضح منهجاً من كتاب الأدب الصغير، فيتناول آداب السلطان ونظام سياسة الدولة في قسمه الأول، ويعنى قسمه الآخر بأدب الاجتماع وعلاقة المرء بأخيه الإنسان، وينطوي الكتاب على مقدمة لموضوعه، الذي يشيد بمنزلة القدماء والاستفادة من علمهم الغزير[١٣].

وقد اشتمل كتاب الأدب الكبير على دعوة بتجنب التداخل مع الحكام، والبعد عن التعرض لهم قدرة الطاقة، كما أعلن ابن المقفع في مقدمة كتابه الأدب الكبير" أن كل ما له أهمية أدبية قد قيل من أعمال الأجيال السابقة، بينما لم يترك للكاتب المعاصر شئ"[١٤].

وتتسم مؤلفات ابن المقفع بآداب اللباقة واللياقة، ومراعاة قواعد التهذيب الأخلاقي التي تجلب المآثر والمحامد، فابن المقفع" من أقوى الشَّخصيات في عالم الأدب العربي، قويٌّ في خُلُقِهْ، قويٌ في عقلهِ وسِعةِ عِلْمِه، قويٌّ في لِسَانِه، أمَّا خُلُقُهُ فنبْلٌ وَكَرَمٌ، وتعهَدَ لذوي الحاجاتِ يواسيهم، وتقديرٌ دقيقٌ للصَّدَاقة، ومُرَاقَبَةٌ شديدةٌ لنفسِه يحمِلها على الأجْدَر والأنبل، ورغبةٌ شديدةٌ في إصلاحِ الرَّاعِي خُلُقِيَّاً واجتماعيَّاً، إلى ظَرْف الخاصَّة، والتمسُّك بآداب اللياقة، ومُراعاةِ الدِّقة فيما يتطلَّبه الذَّوْق"(١٥).

ويقال عن ابن المقفع بأنه كان يقف عندما يكتب، فالكلام يزدحم في صدره فيقف لتخيره، لذلك يتخير كلامه وموضوعه، وما خاض إلا فيما توسع في علمه، وما وقع في مؤلفاته من الحكم والأفكار مما يتأدب به كل إنسان، ويصلح لكل زمان ومكان، وكان ابن المقفع متبحراً في أدب أمته، ومؤمناً بما يقول، ولم يخرج عن الفطرة السوية، أتى بما تدرك العقول، ولذلك فالناس بحاجة لكلامه لا يستغنون عن التمثل به(١٦).

ووصفه شوقي ضيف بالبلاغة والبيان والبعد عن التعقيد والإغراب، احتفظ بالعربية ومقوماتها الأصيلة، ولاءم بين الأخيلة الفارسية وذوق العربية " ولم يكُن ابن المقفع بليغاً فحسب، بل كانَ أكبر بُلغاء عصره، إذ استطاع أن يملأ أواني العربية بمادةٍ أجنبية غزيرة، دون أن يُحْدث فيها انحرافاً من شأنه أن يجرَّ ضرباً من الازدواج اللغوي، إذ من المعروف أنَّ لكُلِّ لغةٍ صياغتها وأنماطها الخاصَّة في التعبير، ولها أيضاً صُوَرُها وأخيلتها التي قد تستعصي على الأداء في لغةٍ أُخرى(١٧).

وهو إمام الطبقة الأولى، عرف بطريقته" التي آخت بين التفكير الفلسفي والبلاغة العربية، وهو كاتب حكيم تغلب عليه الحكمة في كل شئ"((١٨).

ويُعدّ ابن المقفع ممن أُشيد بثقافتهم ومنزلتهم العلمية، إذ " لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد، ولا أجمع، ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع"(١٩).

لقد كان ابن المقفع واحداً من الكتّاب القلائل" الذين أنضجت عقولهم وأخيلتهم ثقافات مختلفة من عربية وفارسية ويونانية، وكونت لديهم ميراثاً هائلاً من المعاني والأفكار والأخيلة والأحاسيس، كان ابن المقفع كاتب فكرة ومبدأ، فهو يؤمن بالمثل العليا ويعتنقها ويدافع في سبيلها، ولذلك ظهر في كتاباته عمق الفيلسوف الناقد الذي يرسم لمجتمعه طريق الخير، ويوجهه إلى المثل العليا والغايات الكريمة"[٢٠].

ولعلّ من أهم ما تجلى في كتاب الأدب الكبير حول أدبيات الحديث ما يأتي:

انتحال رأي الناس والكذب والافتراء

ويدلل الانتحال على أخذ كلام الآخرين والتصرف به، ونسبته للذات وكأن ذلك الحديث من اختراعه، ويُفترض أن التأثر بأقوالهم ينطوي على حالة من الانفتاح على المجتمع، ويتأسس على الإعجاب بكلام الآخرين، وما يصدر عنهم من سلوكات حضارية مؤثرة، أما السلبية فتكمن في الصراع الذي ينشأ بين الذات والآخر الذي يشعر بسرقة قوله ورأيه دون خجل.

ويدلُّ الانتحال على موقفين متصادمين: المُنتحِل للكلام الذي يسلب رأي الآخرين، ويدّعي أنه من بنات أفكاره ويطرحه في المجالس وكأنّه له، والمنتحَل عنه الذي يُسلب رأيه دون الإشارة إليه، مما يُشكّل حالة من التنافر وعدم الرضا.

وتمثل لفظة " وَتَجْنِي" الخلاصة التي تنفتح على كلّ إيجابية يحرص عليها الإنسان في حديثه، وطبيعة الجني التي ترتبط بالعمل واستخدام العقل لتصل النبتة حدّ الجني الذي تطيب به النفس، إذ ترتقي في مدارج الكمال والتهذيب، وتصقل المتكلم من العيوب، وفي ذلك مضى ابن المقفع يقول: " وإنْ سَمِعتَ مِنْ صَاحِبك كلاماً أو رأيتَ منه رأياً يُعْجبك فلا تنْتحله تَزَيُّناً به عندَ الناسِ. واكتفِ من التّزيّن بأن تجتني الصّوابَ إذا سمعته، تنسبه إلى صاحبه"[٢١].

يتعمّق ابن المقفع في رؤيته لهذا الفعل الشنيع والصنيع القبيح، مسهباً في وصف صاحبه، فهو يُقلّل من هيبة المنتحل الذي يظهر سخيفاً، عديم المروءة، كما يجرّ عليه فعله المسخطة من صديقه وعدم ثقته به، فمن المعيب أن تسلب المجالس حقوق أصحابها، يقول:" واعْلمْ أنّ انْتحالك ذلك مسّخطة لصاحبِك، وأنّ فيه مع ذلك عاراً وسُخْفاً"(٢٢).

ويغدو فعل انتحال الرأي مُخلّاً يتأسس على صور رفض الكذب المتفشي في أفعال أهل مجالس ذلك الزمن، فقد سعى ابن المقفع إلى كشف اختلالات المجتمع العباسي، بابتداع الشكل التعبيري المنسجم مع فكرة تهميش الآخر، والذي يقع تحت عدسة نظر المنتقدين، ولذلك عدّه من سوء الأدب وقلة الحياء: أن يُبدي المُنْتَحِل كلام صاحبه في حضوره المجلس دون ورعٍ أوخجلٍ من تكرار كلامه ومن ثم نسبته لنفسه، " فإن بلغ" تحذير من التزييف في تلقينا للمعارف التي تنسب إلى غير قائلها، وإخضاع كل ما يصلنا إلى التفقد والامتحان، وهنا يقول ابن المقفع:" فإنْ بَلَغَ بِكَ ذلك أنْ تُثيرَ برأي الرّجلِ وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعتَ مع الظّلم قِلة الحياءِ. وهذا مِنْ سُوْءِ الأدبِ الفاشي في النّاس"(٢٣).

ولعلّ من حُسن الخلق واستجلاب أشكال الاسترضاء، حينما تنقل كلاماً نسبته إلى صاحبه، مما يُولّد حالة من الصّدق وكرم الأخلاق، والانسجام والاحترام. وتمثل لفظة (تزيينه مع ذلك ما استطعت) مهارة اصطياد عُرى التماسك في المجتمع، " وأن تسخو نفسك" في محاولة للتوفيق، وإثبات للذات، وهوية الشخصية التي تُلحق الكلام بنسبته لقائله، وهي تسبغ عليه الأخلاق والرفعة، يقول ابن المقفع:"ومن تمام حسن الخلق والأدب في هذا الباب أن تسخو نفسك لأخيك بما انتحل من كلامك ورأيك، وتنسب إليه رأيه وكلامه، وتزينه مع ذلك ما استطعت"(٢٤).

ثقافة التأني والتمهل:

يُجسّد ابن المقفع صوراً تنبض لمجالس زمانه، فهي تمتلئ بالحيوية والنشاط، إذ استثمر بها من يجلسون المكان على اختلافهم من العامة والخاصة، فيرتكز النص على بطانة الخليفة ومستشاريه، كما تفرض تلك المجالس سلوكات إيجابية تؤكد القيم الأخلاقية، وأخرى سلبية تنذر بخطورة النتائج، وتدفع الشرور التي تنشأ بالفعل الكلامي.

ومن الصور البهية في المجلس وحين الحديث التمهل والتريث والتأني، فيتوارى وراءها وسائل الحماية والوقاية خشية الوقوع في الهفوات والزلات. إنّ السؤال المركزي الذي يتوارى في حديث ابن المقفع عن قيم المجالس يتمثل فيما يأتي: كيف على من يدخلون إلى عالم المجالس أن يتخففوا من إيذاء الناس في كلامهم ويكون تبادل الحوار معهم بود واحترام؟

والمقصود بالأناة: "التَّأنِّي في الأمور وعدم التَّسرُّع، وما أكثر ما يهلك الإنسان ويزلُّ بسبب التَّعجُّل في الأمور، وسواء في نقل الأخبار، أو في الحكم على ما سمع، أو في غير ذلك. فمِن النَّاس – مثلًا– مَن يتخطَّف الأخبار بمجرَّد ما يسمع الخبر يحدِّث به، ينقله،...، التَّأنِّي في الأمور كلُّه خيرٌ"(٢٥).

وبناءً على ذلك، فإنّ العالم الذي يصنعه ابن المقفع يتصف بالمثالية تقوم ركائزه على العمق في التفكير وضبط النفس والأناة قبل المبادرة في حديث ثم تأتي على قطعه، فلا تتسرع في إلقاء حديث تعجز عن متابعته لقلة نضجه أو عدم وضوحه، مما يُظهر مساوئ الذات ونقدها وقبحها، فسوء التصرف بحبس وحجب الحديث يدلل على قلة العلم ويخلّف الشعور بالغمّ والهمّ لمبتدره، فابن المقفع يقدّس المعرفة واستقصاءها، ويُعلي من قيمة العقل،" فإن احتجان الحديث بعد افتتاحه سُخف وغمّ" ويُمارس فيها نوعاً من النشاط التخييلي والتصوير اللفظي في احتجان الحديث وإدراك التقييد والضيق الذي يسيطر على حديثه، وما يتبعه من توقف وحرمان لمن ينتظر متابعة الحديث، وما

هذا إلا من وسائل تعريض الذات للأثر السّلبي المتمثل في: التوتر والسّخط النفسي والنقد من الآخرين، ومن صور تعرية الذات، يقول ابن المقفع:" لا يكوننّ من خلقك أن تبتدئ حديثاً ثمّ تقطعه وتقول: " سوف" كأنّك رَوّأت فيه بعد ابتدائِك إيّاه. وليَكُنْ تروّيك فيه قبل التّفوه به. فإنّ احْتجان الحديث بعد افتتاحه سخف وغمّ"(٢٦).

ومما يُفهم ضمناً ثقاقة التريث والتأني وامتلاء الذات بالمخزون الفكري حتى يصبح المتحدث قادراً على العطاء وإصابة الرأي، والذي يظهر أثره إيجابياً، و"اخزن" ارتكزت على منحى آخر يقوم على حصيلة يومية للعلم وتطبيق لهذا الفكر العقلي وتوظيفه بفاعلية الإصابة في حواره، أما "المحنة" فإنها من مظاهر التبدل في الحال، وما يقع من إحساس عميق باهتزاز صورته أمام الآخرين، والألم الذي يعتصره، يقول: "اخْزنْ عَقلك وكلامَك إلا عندَ إصابةِ الموضعِ. فإنّه لَيس في كُلّ حِين يُحسن كُلّ صَوابٍ. وإنّما تَمام إصابةِ الرأي والقولِ بإصابةِ الموضعِ. فإنْ أخْطأك ذلك أُدخلت المحنةَ على عقلِك وقولِك حتى تأتيَ بِه في غيرِ موضعِه وهو لا بهاء ولا طلاوة له"(٢٧).

إنّ تزيين فعل السمع بعدّه منهجاً ومكوناً ثقافياً في المجالس يؤسس للارتقاء، وينطوي في بنيته العميقة على الاحتفاء بالعلماء ورؤية النموذج المثال الذي يُحتذى به، والانسياق إلى العلماء طواعية، فالسامع في ضوء حرصه على السمع أكثر من القول، يعكس صورة النموذج الإنساني الذي يُمجّد الآخر، ويهدّم صورة الغرور، ويشكّل حالة من التوازن واستثارة المعارف عنده وتراكمها، وتنعكس حضوراً فكرياً في حواره، يقول: "وليعرف العلماء حين تجالسهم أنّك على أن تسمع أحرص منك على أن تقول" (٢٨).

ظهور الذات ومدحها

لقد اهتمّ ابن المقفع بالأخلاق الاجتماعية وأنماط السلوك الإنساني، وقد عرفت الأخلاق بأنها: "هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة

عقلاً وشرعاً سُميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها تلك الأفعال القبيحة سُميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً"[٢٩].

فلا تكاد تمضي ظاهرة أو خلق اجتماعي إلا وتصدى لها ابن المقفع بالتعريض والنقد والتوجيه، فالحديث المثالي يضمن تقارباً فكرياً مع الآخرين، كما يحفّز على التغيير المستمر.

ومن المواقف السلبية التي ترتبط بالشّقاء الإنساني التي حذّر منها ابن المقفع تضخيم الذات التي تتمظهر فيما يثيره المتحدث من إظهار نفسه وما يتصف به من أخلاق، وما يقوم به من إنجاز وما يبذل من عطاء ليحظى بالمدح، ولينال الشهرة والسّمعة، مما يكشف تناقضات الإنسان الداخلية.

ويرّكز ابن المقفع منفعلاً على هذا الفعل الإنساني بالأمر؛ الذي يمثل إرشاداً ووعظاً وتعليماً ونصحاً:" واعلم أنّ ظهوره...

"واعلم أنك إنْ صبرت..."

وهو صوت الصراع بين الظهور واللاظهور، وبين ما يقرّ في الصدور وما يدور في العقول، صورة المثال في مقابل صورة حقيقة طبائع الإنسان في حبّ الظهور واهتزاز قيمه، وكذلك يجسدهما بحالين: اللؤم والبخل في الانشغال في رفع الذات، في مقابل السّخاء والكرم في الترفع والجنوح إلى التواضع والقدرة على التخلي.

وتتساوق هذه الدلالات اللفظية وضبط النفس، وتشي بسلوك التماهي في المجموع، يقول ابن المقفع: "وإن آنست من نفسك فضلًا فتحرَّج أن تذكره، أو تبديه، واعلم أن ظهوره منك بذلك الوجه يقرر لك في قلوب الناس من العيب أكثر مما يقرر لك من الفضل.

واعلم أنك إن صبرت، ولم تعجل ظهر ذلك منك بالوجه الجميل المعروف عند الناس.

ولا يخفين عليك أن حرص الرجل على إظهار ما عنده، وقلة وقاره في ذلك، باب من أبواب البخل واللؤم.

وأن من خير الأعوان على ذلك السخاء والتكرم"(٣٠).

ويُقدّم ابن المقفع صورة تتشح بثوب الوقار والمودة في تزيين المرء نفسه بين يدي العامة والخاصة، وتتجلى بالأخلاق وتكمن بالتواضع، ويحقق بذلك المثالية وإيجابية تهميشه لذاته في ظلّ هيمنة العقل، فيصون نفسه من المجازفة والتعثر والتخبط.

وتأسيساً على هذا، فكن" عالماً كجاهلٍ، وناطقاً كعيي" وسيلة لإخفاء الذات، ومراعاة للعلماء الجلساء، وخروجاً من إطار الإنهزام والضعف ومحو الآخر.

" وإن أردت أن تلبس ثوب الوقار والجمال وتتحلى بحلية المودة عند العامة وتسلك الجدد الذي لا خيار فيه ولا عثار فكن عالما كجاهل وناطقا كعيي"(٣١).

ولا يكتمل المعنى إلا بالعلم الذي يمثل إشارة سيمائية وأداة جمالية فيه توظيف للعقل وإدراك للوعي كما أنه يجمع كل خير، وبيان ما يجب أن يكون عليه المرء:

فالعلم: يزين ويرشد

ويوحي بقلة الإدعاء، ويجنب الحسد

ويهديك إلى المنطق الذي يوصلك إلى مبتغاك

ويختبئ وراء الصمت الذي يكسبك الوقار والمحبة

يقول ابن المقفع:

" فأمّا العلم فيزينك ويرشدك، وأما قلة ادعائه فتنفي عنك الحسد. وأما المنطق (إذا احتجت إليه) فيبلغك حاجتك، وأما الصمت فيكسبك المحبة والوقار"(٣٢).

اللسان أداة مصلتة

ينفتح نص ابن المقفع على صور التواصل في زمانه، ومهاراته وإشكالياته، عبر تقنيات الحوار المجتمعي، فاللسان موطن الإنسان في حفظ حياته ونفعه ورفعته إن سخّره في العطاء والخير، وهو مسؤول عما يصدر عنه، فإن كان سوطاً مسلطاً على الرّقاب، تحوّل أداة ضبابية مأساوية، عظيمة الخطر، أحيت الصراع والتوتر، حينما يخرج منه ما لا يليق: غيبة ونميمة وإفشاء للسر، وصور الجدل والمراء والطعن والكذب والافتراء.

واللسان "أداة يظهر به البيان، وشاهد يعبر عن الضمير، وحاكم يفصل بين الخطاب، وناطق يرد به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الأشياء، وواعظ ينهي عن القبيح، ومبشر ترد به الأحزان، ومعتذر تذهب به الأضغان، ومُلهٍ يونق الأسماع، وزارع يحرث المودة، وحاصد يستأصل العداوة، وشاكر يستوجب المزيد، ومؤنس يسلي الوحشة"(٣٣).

وهكذا فإنّ اللسان مصدر الفكر ومكمل للعقل، ويركز ابن المقفع بصورة إيمائية تصويرية إلى قيمة اللسان" أداة مصلتة": قوة للتأثير وجوهراً للوجود والحياة، أو الفناء والتشتت.

فغياب الفكر، وسيطرة الغضب، وتحكم الرغائب والأهواء من الصور المكثفة التي تحول اللسان بسبب ذلك كله إلى أداة للغياب والموت والهلاك، فيعزز وجود عدوك، وينقلب اللسان إلى مرآة للعدو حينما يتولى قيادتك ويقرر غيابك، يقول ابن المقفع:

"اعلم أن لسانك أداةٌ مُصلتةٌ، يتغالبُ عليهِ عقلكَ وغضبكَ وهواك وجهلكَ. فكُل غالبٍ مستمتعٌ به وصارفهُ في محبتهِ، فإذا غلبَ عليهِ عقلكَ فهو لكَ، وإن غلبَ عليه شيءٌ من أشباهِ ما سميتُ لك فهو لعدوكَ. فإنِ استطعتَ أن تحتفظ به وتصونهُ فلا يكونَ إلا لكَ، ولا يستولي عليهِ أو يشاركَ فيه عدوكَ، فافعل"(٣٤).

الشتم والذم:

يدين ابن المقفع ما يطلقه المتحدثون في المجالس من أحكام تنطلق من ثقافة الاستحواذ أو الشعور بالفوقية، فيسبّ المتكلم عائلة، أو يهمّش فئة من الناس، أو يسيء إلى قبيلة، أويقبّح اسماً، فيسهم المتكلم في انتهاك أعراض الناس وهم جالسون في تلك المجالس دون مراعاة مشاعرهم.

ويرى المتحدث أن هذا يقع ضمن حرية الرأي والتحرر والانعتاق، إلا أنه تجاوز للأدب ،وانتهاك وهضم لحقوق الجالسين، وتفكك في رابطة الأخوة.

ويأتي تكرار" لا" شاهد على كثافة الأخطاء التي ينجرّ إليها المتحدثون، وكثافة ردّ فعل الجالسين التي تصل إلى التخبط نتيجة الغضب، ويولد لغة العنف، إذ يحاول الجالس استعادة حقه وإن كان بيده. فلا يعني ما يقوم به المتحدث من فعل هيمنة وقوف الآخر مسلوب الإرادة خائر القوى.

وبفعل وجود السبب تحتمت النتيجة، ويتحقق الربط " ولا تستصغرن من هذا شيئاً، فكل ذلك يجرح القلب، وجرح اللسان أشدّ من جرح اليد" " فلا تسصغرن" إشارة دالة على الموقف الفكري، وهو امتداد للشعور بالغرور، وما ينطوي على الاستهانة في فعل المشاركة بين الأنا والآخر، ويخلق حواجز وعوائق نفسية واجتماعية سيئة يصعب تجاوزها.

وهكذا طفق ابن المقفع يؤسس للجرح المتوقع الذي يخلفه جرح اللسان في إساءته للآخرين، وما ينشأ عنه من أذى نفسي، وفداحة المعاناة والإحساس بالألم. وهدف ابن المقفع أن يصل بالعلاقات الإنسانية إلى مداها الطبيعي.

"إذا كنتَ في جماعةِ قومٍ أبدًا فلا تَعُمَّنَّ جيلًا من الناس أو أمَّة من الأمم بشَتْم ولا ذَمٍّ، فإنَّك لا تدري: لعلك تتناول بعض أعراض جُلسائك مُخطِئًا، فلا تأمَن مُكافأتَهُم، أو مُتعمِّدًا فتُنسَب إلى السَّفَه، ولا تَذُمَّنَّ مع ذلك اسمًا من أسماء الرجال أو النساء بأن تقول: إنَّ هذا لقبيحٌ من الأسماء، فإنَّك لا تدري لعلَّ ذلك غير موافق لبعض جُلسائك،

ولعله يكون بعض أسماء الأهلين والحُرُم، ولا تستصغرنَّ من هذا شيئًا، فكلُّ ذلك يجرحُ في القلب، وجُرْحُ اللسان أشَدُّ من جرح اليدِ"(٣٥).

مراعاة حال المستمعين:

ويتنامى إحساس ابن المقفع بمشاعر الجالسين، وظروفهم وأحزانهم، إنّ ما يقدمه ابن المقفع يتصف بالترابط والتوافق، إذ يُعبّر به عن حالة شعورية، ويُركز على الصوت وما يرتبط به من كلام، وأثر وقع الكلام على السامعين، يقول ابن المقفع: " ولا تخلطن بالجدّ هزلاً، ولا بالهزل جدّاً، فإنّك إن خلطت بالجدّ هزلاً هَجَّنْتَه، وإن خلطت بالهزل جدّاً كَدَّرْتَه.

غير أني قد علمت موطناً واحداً إن قدرت تتقبل فيه الجد بالهزل أصبت الرأي وظهرت على الأقران.

وذلك أن يتورَّد مُتوردٌ بالسفه، والغضب، وسوء اللفظ- تجيبه إجابة الهازل المداعب بِرُحْب من الذرع، وطلاقةٍ من الوجه، وثبات من المنطق"(٣٦).

ويولّد ابن المقفع من الحديث غير المتناسب مع هيئة وحال الجالسين ضرباً من السلبية في التفاعل القائم، ويمثل التضاد في خلط الجدّ بالهزل والهزل بالجدّ، الخلط اللوني يتضح بلفظة (كدّرته) مما يشي بحالة من التوتر والاضطراب، ويوحي التنكير في لفظتي (هزلاً وجداً) ما يطغى من سلبية على المشهد، فيبدو المتحدث مبعثراً بين الأشياء.

ويلحظ العلاقة الواضحة في نص ابن المقفع بين قوالب ألفاظه التي يُضفي عليها الصبغة التي يريد، وتنسجم ومشاعره النفسية وانفعاله العاطفي وحال السامعين وطبيعة الموقف، ويرتبط هذا الأمر بالذكاء الاجتماعي." إنّ الألفاظَ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة التي تليها وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ"(٣٧).

إنّ التنوع والتفنن فيما بين: النهي، والصور المتضادة والعطف والتكرار يحفّز فيه وعي المتلقي، ويثير فيه عمق الحقائق و يسبغ على السامع الالتفات.

و(غير) في قوله: " غير أني قد علمت موطناً واحداً إن قدرت تتقبل فيه الجد بالهزل أصبت الرأي وظهرت على الأقران..."[٣٨]، تمثل نقطة التحول الطارئ والإذعان لقبول ذلك الخلط بين الجدّ والهزل، حينما يلغي المتحدث ذاته ويتسامى، ويتقبل السفيه وشديد الغضب وسبّ الشاتم، فيهدّئ من مرارة الموقف ويلطفه بالهزل وبشاشة الوجه وأدب الحوار والردّ، ويغدو سلوكه إنسانياً رفيعاً ومحبباً.

ويخيم هاجس الحقد التدميري على من يتصف بالانطلاق في حديثه دون مراعاة هموم المهمومين وحزنهم وفقدهم واكتئابهم، ويجسد هذا التناغم في نص ابن المقفع إعداداً لثقافة قيمية يدرك فيها المتحدث حماية مشاعر الآخرين، ويذوب في أخوته مع الآخرين، ويساندهم ويعاضدهم.

"واتق الفرح عند المحزون، واعلم أنه يحقد على المنطلق، ويشكر للمكتئب"[٣٩].

التمادي على الجالسين:

لم تكن عناية ابن المقفع بالمكان هدفاً جمالياً، فالمكان يختزل من يعيش فيه، إنّ المجالس بطبيعتها المكانية تطيب بالحاضرين، حينما يتماهى الحاضر في الجماعة، ويتسامى عندما يتأسس في وعيه النموذج الذي يدرك أهمية الشعور بالآخرين، والإحساس بهم في المواقف على اختلافها. وهكذا استطاع المكان أن يخترق من يجلسون فيه، وينم على مشاعرهم وتصرقاتهم.

وتأسيساً على ما سبق فإنّ ابن المقفع ينتقد أيضاً النماذج الإنسانية السلبية التي تضحي أداة طيعة لصفة اللؤم فتتطاول وتتمادى وتتعالى على الآخرين، وتستغرق في استعراض ذاتها وتفوقها مما يظهر العبثية المرضية حينما تصل إلى نقد الأصحاب.

وهكذا ينطوي التطاول على ترسيخ قيم سالبة تسئ إلى الحاضرين، كما تسهم في الإطار نفسه في تعزيز ثقافة الاستحواذ ضمن جدلية الفوقي والدوني.

ويمرّ فيها اللئيم بمراحل: منها شعوره بالقوة والقدرة لامتلاكه أدوات النقد والعبث بالآخرين، كما يحاول أن يلف نفسه بهالة العلم والمعرفة التي تؤهله أن يصبح متميزاً على الآخرين، ومما ينشأ عن التطاول تقلب الناس في الودّ له، وخواء الروح.

إن تنامي حركة الأفعال تدليل على إلغاء المشاركة الاجتماعية، وتشمل الذات الإنسانية اللئيمة ذات الحركة في أزمنة متواترة بطريقة مخالفة، تتقلب في الود فوظف لغة الالتصاق والرحيل" يرحل عمن لصق به، ويلصق بمن رحل عنه" مما يفكك رابطة الأخوة الإنسانية، ويتأجج فيه الصراع، وابن المقفع يستبطن هواجس الفرد داخل المجتمع، فالقيم الأخلاقية والمعرفية التي يتحلى بها المرء تجعله بؤرة الاهتمام ومركزية الحضور.

"تحفظ في مجلسك، وكلامك من التطاول على الأصحاب، وطب نفسًا عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والرأي، مداراة؛ لئلا يظن أصحابك أن دأبك التطاول عليهم.

إذا أقبل إليك مقبل بوده فسرك ألا يدبر عنك، فلا تنعم الإقبال عليه، والتفتح له، فإن الإنسان طبع على ضرائب لؤم، فمن شأنه أن يرحل عمن لصق به، ويلصق بمن رحل عنه، إلا من حفظ بالأدب نفسه، وكابر طبعه.

فتحفظ من هذا فيك، وفي غيرك"(٤٠).

تعقب الحديث

لقد استطاع ابن المقفع بقراءة عصره وأنساقه إدراك طبائع النفس الإنسانية، وتجسيد إمكانية رأب الصدع في المجتمع، وتعزيز النزعة المثالية وصورة الأنموذج.

إن من السخف الذي طرأ على المجتمع وسوء الأدب حينما تتعقب الآخرين في حديثهم، ومشاركته لاستقطاب الجمهور، أو لتسخير طاقته في إظهار تميزه، أو رغبة في إضمار الشر للمتكلم؛ لإخفات صوته والتمادي معه.

وصور البخل في مجتمعات ذلك الزمن عديدة، وتتمثل عند ابن المقفع حينما تدعي العلم والمعرفة فتشغل الحاضرين عن المتكلم وتكون أنت بؤرة الاهتمام ومركزيته، حينما يستعرض السامع ثقافته، ويستحوذ على الموقف أمام جمهور المستمعين.

وهكذا احتلّ وصف المواقف الحوارية مكانة واضحة في بناء المشهد داخل المكان، وساهم الوصف في توضيح الأفعال المعبّرة عن النزعات النفسية المتغلغلة في الشخصيات، وتصوير الانحلال في السلوكيات، والآراء المنطوية على غرس القيم الأخلاقية الواسعة والممتدة. ويُعدّ علم النفس أنّ" حقيقة المكان النفسية تقول إن الصفات الموضوعية للمكان ليست إلا وسيلة، أو وسائل قياسية تسهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية"(٤١).

قال ابن المقفع: "وإذا رأيت رجلاً يحدِّث حديثاً قد علمته، أو يخبر خبراً قد سمعته– فلا تشاركْه فيه، ولا تَتَعَقَّبْهُ عليه؛ حرصاً على أن يعلم الناس أنك قد علمته؛ فإن في ذلك خِفَّةً، وسوء أدب، وسخفاً"(٤٢).

وهكذا فإن صوت التعقل وتقدير المواقف في المجالس من القضايا الإنسانية العميقة المطروحة، وإلا بات سعيه خائباً، وسخفه واضحاً، وقال: "ومن الأخلاق التي أنت جدير بتركها–إذا حَدَّث الرجل حديثاً تعرفه ألا تسابقه إليه، وتفتحه عليه، وتشاركه فيه؛ حتى كأنك تظهر للناس أنك تريد أن يعلموا أنك تعلم مثل الذي يعلم.

وما عليك إلا أن تُهنئه بذلك، وتفرده به.

وهذا الباب من أبواب البخل، وأبوابه الغامضة كثيرة"(٤٣).

أهل البلاغة والتكدير على أصحاب النعم في الحديث

من مظاهر الرقي الإنساني ومن أبواب اللين التي رافقت المجتمعات التواضع وضبط النفس، ومن صوره في المجالس الرفق بالحاضرين. إن الأخلاق الرفيعة فعل حسن، وصنيع رفيع ينبع من الذات، والحوار "ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه"(٤٤).

ويمثل الحديث خطاباً عقلياً يؤيد القيم الاجتماعية، ولعل ما ينقص العقل ويفسد الودّ التكبر والعجب، ومن مفاتيح الأذى والشّرّ في المجالس مسابقة المتكلمين ليعلم الجالس أنك تحمل علمه أو تتقدم عليه، فتحسده في علمه وتفرده مما يُسهم في حوادث متشابكة ينمو فيها الصراع.

ومن الصور الأخرى الدقيقة التي تتصل بالأمر نفسه حينما تجلس في قوم ليسوا ببلغاء ولا الفصاحة حاضرة على ألسنتهم فتتطاول عليهم بالفصاحة والبلاغة والبيان مما يسهم في بيان الملامح الداخلية والمثيرات الخارجية في السلوك.

كما يجسّد المتحدث في المجلس وفق رؤيته حالة من الوعظ، وتقصي الحقائق حينما يمضي في الإشارة إلى أصحاب النعم والخير والفضل فيصغّر من شأنهم، ويكدّر من قيم اللذة والنعمة التي وهبهم الله إياها، ويبالغ في ذكر مثالب تلك النعم للتنغيص عليهم. وكأن العدوانية والشّرّ هما طبعان سائدان في العلاقة الإنسانية ولإفساد الود بالإساءة.

إنّ النماذج التي تمثل مشاهد نصية لابن المقفع مكمن يتفق ويتواءم في دائرته وإطاره مع قيم الإسلام في منهجه، تغلب عليه السهولة والألفاظ الواضحة والمبادئ الرفيعة.

" إذا كنتَ في قوم ليسوا بُلغاء ولا فُصحاء فدَعِ التطاول عليهم بالبلاغة والفصاحة. واعلم أنَّ بعضَ شدَّة الحذرِ عونٌ عليك فيما تحذرُ، وأنَّ بعض شدَّة الاتِّقاء

مِمَّا يدعو إليك ما تَتقي... قد رأينا من سوء المجالسة أنَّ الرجل تثقُلُ عليه النعمة يراها بصاحبه، فيكون ما يشتفي بصاحبه –في تصغير أمره وتكدير النعمة عليه– أن يذكر الزوال والفناء والدوَل، كأنه واعظ وقاصٌّ، فلا يخفى ذلك على من يُعنَى به ولا غيره، ولا يُنَزَّل قولُهُ بمنزلة الموعظة والإبلاغ، ولكن بمنزلة الضَّجَر من النعمة –إذا رآها لغيره– والاغتمامِ بها والاستراحةِ إلى غير رَوح..."(٤٥).

التسرع في الرد

يدين ابن المقفع صور التعجل في الحديث، وترتكز نصوصه على رؤيته الخاصة في ضرورة حفظ اللسان، الذي يراه يختزل مركزية الحضور، ويعبر عن آليات حيوية تمثل اندغام الإنسان في التجربة الحياتية، فتلك الشخصيات فاعلة، يعمّق بها ابن المقفع وجود نماذج مراوغة هدفها إثبات الذات وطمس الآخرين، وبذلك يصل إلى صورة مشوهة في عين جلسائه.

ومن المعايير المعرفية والقيمية مهارات التواصل مع الوالي: بالتزام حدود الأدب والحشمة بالإصغاء الذكي إلى كلامه، ومتابعته بالنظر إليه. ويمارس النص سطوته وعمقه حينما يشير إلى الانشغال بحديث النفس الذي لا يليق في حضرة الوالي؛ مما يجعل من الوالي شخصية منفردة بنفسها، وقادرة على ترك أثرها فيمن حولها.

ويمسك النهي المتتابع وسيلة تضاؤل الحضور أمام الوالي، والصوت الخافت للذات حتى يصل إلى التركيز والبعد عن التفكير في أية قضية تشغله، كما أن غياب المتكلم هنا يتمثل في خصوصية السلطة.

"إذا كلمك الوالي فاصغ إلى كلامه، ولا تشغل طرفك عنه بنظر إلى غيره، ولا أطرافك بعمل، ولا قلبك بحديث نفس"(٤٦).

إن المواجهات الفكرية في مجالس السلطة أثناء إنشاء الفعل التواصلي قد تضيف توتراً وسوءاً بينك وبين أصحابك في الخلاف، ولا يعني اعترافهم بقدرتك وفضلك

الانقياد الدائم لك، لأنّ طبيعة الإنسان التمرد، وقد طُبع على احترام ذاته ورؤيته لتفوقها على الآخرين، فإن أقرّ لغيره تفرده وتميزه في خلاء، فإنه يقره ويثبته لنفسه بين الناس ويسلبها عن غيره، ومحمولات هذا الأمر مسوغة فهم في حالة إثبات أنفسهم في حضرة السلطة.

ولعلّ مركزية الفعل" لا تجترئن" فعل إيحائي يعبر عن حال النفس التواقة للظهور والانفلات، ثم يأتي قرار مراجعة الذات حداً فاصلاً في المجالس المكتظة بالعالم المحيط، باستخدام (لا) التي تكتنز بالتحذير، والتي تمحو ما علق في الذهن من إيحاءات التمادي. و"قد رأينا الناس يعترفون..." ، يقول ابن المقفع:" لا تجترئن على خلاف أصحابك عند الوالي، ثقة باعترافهم لك ومعرفتهم بفضل رأيك، فإنا قد رأينا الناس يعترفون بفضل الرجل وينقادون له ويتعلمون منه، وهم أخلياء (منفردون). فإذا حضروا الوالي، لم يرض أحد منهم أن يُقرّ له، ولا أن يكون له عليه في الرأي والعلم فضل، فاجترأوا عليه بالخلاف والنقض. فإن ناقضهم صار كأحدهم. وليس بواجد في كل حين سامعاً فهماً أو قاضياً عدلاً. وإن ترك مناقضتهم، كان مغلوب الرأي مردود القول"(٤٧).

وطالما أن الموقف يثبت فاعليته في خطاب السلطة، ويعزز أثره في التنبيه والتحذير، فإن ابن المقفع يُكثر من تشابه الكلمات والحروف والاشتقاق خدمة للمعنى" سأل، سائل، السؤال، المسؤول، المسألة، سألت"، وليجعل منها شديدة الوقع، بعيدة الإيحاء والتأثير، ولتضيف في كل مرة فائدة، وتتابع حرف السين الصفيري يوحي بكثرة المحتشدين في المجلس (فالمجلس في حضرة الوالي: السلطة)، فلا يتصدى السامع لسؤال الوالي إن لم يكن مقصوداً بالسؤال؛ فيعرّض نفسه لاستخفاف السائل.

وهكذا فإن لغة ابن المقفع تتصف في كتاباته أيضا بأنها تحمل "قيمة دلالية وحركية بارزة تؤكد ما بلغته من سمات الدقة والضبط والمضمون الذهني والمنطقي"(٤٨).

وحملت إنّ التوكيدية النتيجة الحتمية لمن يتعجل الإجابة في الجماعة، ويتسرع في المبادرة في الرد، فالأولى به ترك الأمر للجلساء، فحديثه بلغة الرفض وعدم القبول والنقد، يعرّف بدخائل نفسه التي يشوبها التكلف والخفة والعيب، وتظهر في وجهه التيارات المعارضة من الخصماء طعناً وقدحاً، ولذلك يصور الجلساء وقد امتلأت صدورهم ضغينة وحقداً.

وجاءت الصورة المضادة التي يستوحي فيها ما يليق به من تصرف حكيم يعدّل به مساره: من سماع لكل أقاويلهم، وتدبر آرائهم، ثم التهيؤ لذكر رأيه دون معارض وخصم، وأوحى تكرار الراء في الموقف، ضرورة اتخاذ هذا الأمر منهجاً في حياته، وتكرار التصرف في الموقف نفسه في نزوعه نحو التواصل الإنساني المباشر دون شعور بالحرج والقلق والإندراج في قائمة الإهمال والاستبعاد وأداة للحفاظ على الحياة، وتقترن البطانة بسلطة الحكم، إننا أمام فارق في المقام بين الوالي وبطانته، وهكذا فإن الراء أدت وظيفتها كما يتضح: (اعترضت أقاويلهم– تدبرتها وفكرت بها – هيأت جواباً رضياً – استدبرت أقاويلهم حتى تصيخ إليك الأسماع).

إن ما يترتب من تسرع في إجابتك الوالي عن سؤاله لغيرك، يجرك للحرج، ويدرك ابن المقفع قيمة استخدام الشرط المعطوف ليتمم التعليل. يقول ابن المقفع: "إذا سأل الوالي غيرك فلا تكونن المجيب عنه. فإن استلابك الكلام خِفّةٌ بك واستخفاف منك بالمسؤول وبالسائل. وما أنت قائل إن قال لك السائل: ما إياك سألت؟ أو قال لك المسؤول عند المسألة يعاد له بها: دونك فأجب. وإذا لم يقصد السائل في المسألة رجلا واحدا وعمّ بها جماعة من عنده فلا تبادرن بالجواب، ولا تسابق الجلساء، ولا تواثب بالكلام مواثبة. فإن ذلك يجمع من شين (عيب) التكلف والخفة أنك إذا سبقت القوم إلى الكلام صاروا لكلامك خصماء فتعقبوه بالعيب والطعن. وإذا أنت لم تعجل بالجواب وخليته للقوم، اعترضت (عرضت) أقاويلهم على عينك (مَهْلك)، ثم تدبرتها وفكرت في ما عندك، ثم هيأت من تفكيرك ومحاسن ما سمعت جواباً رضياً، ثم استدبرت به

أقاويلهم حين تصيخ إليك الأسماع ويهدأ عنك الخصوم. وإن لم يبلغك الكلام حتى يُكتفى بغيرك، أو ينقطع الحديث قبل ذلك، فلا يكون من العيب عندك ولا من الغبن في نفسك فوت ما فاتك من الجواب. فإن صيانة القول خير من سوء وضعه، وإن كلمة واحدة من الصواب تصيب موضعها خير من مائة كلمة تقولها في غير فرصها ومواضعها. مع أن كلام العجلة والبدار موكلّ به الزلل وسوء التقدير، وإن ظن صاحبه أنه قد أنهى وأحكم"(٤٩).

إنّ المشاهد تضج بالأصوات والتفاعل بها سلباً وإيجاباً، وينقل ابن المقفع التأثير الصوتي في المجالس، ويصفها وصفاً دقيقاً تفصيلياً، وهذه الألفاظ تلائم إلى حدّ قريب أدبيات الحوار، إنّ الخلاصة توحي باستكشاف إيحاءات الألفاظ التي تتلمس كلمة واحدة تصيب موضعها خيراً من كلام كثير يعرّض صاحبه للأذى والإساءة، وحثّ للجالس ألا تفوته فرصة التمسك بأدبيات التحدث، وأن يستغل كل لحظة كي يحسن معاملة الآخرين، ومن تلك الألفاظ: (الجواب، تواثب بالكلام مواثبة، أقاويلهم، يبلغك الكلام، ينقطع الحديث، صيانة القول).

محادثة السفيه:

يحيط ابن المقفع بطبقات المجتمع كاملة: العلماء والولاة والخلان والسّفهاء، والطريقة المثلى في التعامل معهم ليصل إلى مبتغاه في بناء شخصية ممتلئة بالنضوج، ومجتمع يتسم بالأخلاق، ومن ذلك أن يقع العاقل تحت لسان سفيه أو يعترضه بسيط أهوج، أو يشتمه بحقده، فالأولى بك ألا تحاكيه في سفهه وطيشه وحقده وذمه وشتمه، وسبل الارتقاء تكون بلين الكلمة وبشاشة الوجه وبترك هؤلاء.

وتأسيسا على هذا، فإن (اعلم) هنا إشارية تنبيهية لتجنب الدخول في معاناة التجربة مستقبلا باللفظ " ستبتلى"، لذلك سيُفرض عليك هذا الأمر لوجود مثل تلك النماذج الإنسانية، وعليك ألا تنخدع بسفه السفيه المرّ في عداوته، ذلك أنك لا تتوقع

منه ردة الفعل، ولا تحسب له حساباً، ويؤدي أسلوب الشرط إلى نقل صور الانفعال وتعدد سبل الحذر والاستعداد.

"اعلم أنك ستبتلى من أقوام بسفه؛ وأن سفه السفيه سيطلع لك منه حقداً؛ فإن عارضته أو كافأته بالسفه؛ فكأنك قد رضيت ما أتى به فاجتنب أن تحتذي مثاله، فإن كان ذلك عندك مذموماً فحقق ذمك إياه بترك معارضته، فأما أن تذمه وتمتثله فليس ذلك لك سداداً..."(٥٠).

الخاتمة:

تأتي جمالية نص ابن المقفع في اتصاله الوثيق بالمجتمع والحياة في العصر العباسي الأول، وقد امتلك نصه الثراء الفكري والبلاغي الدلالي، ونجح في تحويل ألوان الصراع السياسي والاجتماعي في مجتمعة الجديد إلى إبداع سلوكي إيجابي، وأدب رفيع يذكي الخيال، ويثير العقل، ويعمق الإحساس بالمسؤولية في المضمرات الإشارية التي يثيرها، ويدس في ثناياها الأخلاق والمبادئ، كما أنه يُعرّي واقع المجتمع المتأزم في أحاديثه ومجالسه.

وهكذا فإنّ كتاب الأدب الكبير يقع بين الأوامر والنواهي: يهجس بنصيحة تأنس بالتجديد، والنواهي التي تجلّي الانحراف بسمة أسلوبية مكثفة، والتي ترتكز على الإصلاح، وابن المقفع الذي واكب الجديد، يتعمق الطبيعة الإنسانية وفداحة انفعالها في غير موقف، وما تضج به تلك الماهية الإنسانية من التعالي والتسرع، وتميل إليه من التمادي والتطاول والنزوة، وما تنحرف به من اللذة والهوى ومدح الذات، ويؤمن كذلك بضرورة كبح جماح الإنسان بإعمال العقل وتفعيل العلم والأدب.

ويراعي ابن المقفع مستوى المخاطب في مواعظه، مما يحدث التأثير المنشود في مطلوب لم يتحقق بغية حصوله، وفي تركٍ لفعلٍ في تركه خير عظيم، وتخفيف لآثار أوجاعه، وأمر لأمر يعلو به فاعله ويسمو ويرتقي.

الهوامش

(١) عني الإسلام بآداب الحديث في المجالس، ووضع حدوداً واضحة في العلاقات الإنسانية، ويعد القرآن الكريم والسنة النبوية من أهم المصادر في تعلم أدبيات الحديث والتخاطب والحوار، وحوى كتاب صحيح بخاري على كتاب في الأدب على باب في طيب الكلام، والغيبة والنميمة... ولعل كتاب بهجة المجالس من أجلّ الكتب التي تعد موسوعة أدبية لعالم أندلسي، تناول آداب المجالسة، وحق الجليس، وحمد اللسان، وفضل البيان، وحمد الصمت، وذم المنطق، والأجوبة المسكتة، وغيرها من آداب الحديث. انظر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، بهجة المجالس، وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.(٣٩-١٠٧).

(٢) علي عبد الله الصياح، أدب التخاطب في ضوء السنة النبوية أصول وضوابط، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود، الرياض، دط، دت، ص٢.

(٣) محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط٣- ١٤١٤ هـ، مادة حدث.

(٤) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

(٥) محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي (١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م)، ٢٠٨/٥.

(٦) دورثي ليدزدار، فن التحدث مع الآخرين بلباقة، الفاروق للاستثمارات الثقافية، الجيزة، ٢٠٠٦، ص١٧.

(٧) صالح أبو إصبع، عز الدين مناصرة، محمد عبيد الله، الحوار مع الذات، أوراق المؤتمر العالمي الثامن لكلية الآداب والفنون، جامعة فيلادلفيا ، ٢٨- ٣٠ تموز (يوليو) ، ٢٠٠٣، ، ص١٣٥.

(٨) عبد الله التطاوي، الحوار الثقافي، مشروع التواصل والانتماء، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦، ص١٣٣و١٣٥.

(٩) صالح بن عبد الله بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، مكة، ط١، ١٩٩٤، ص٣٠.

(١٠) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠، ص٢٧.

(١١) عاش ابن المقفع في عصرين الأموي وأوائل العباسي، اسمه عبد الله بن المقفع، نشأ في البصرة، اشتغل في دواوين الكتابة، مما أدى للتواصل مع شخصيات مشهورة في زمانه، اعتنق الإسلام حينما كان يعمل في ديوان عيسى بن علي عم الخليفة المنصور، عرف بأخلاقه الرفيعة. انظر: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧ ،ج٨/ ١٧٨، وله في الأسمار والخرافات وعلى ألسنة البهائم والطير، انظر :أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي ابن النديم (ت ٤٣٨هـ)، الفهرست، المحقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت ، ط٢، ١٩٩٧،٣٧٠.

(١٢) أحمد أمين ، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دت، ٢٠١٢، ١٨٩/١.

(١٣) عمر الدقاق،أعلام النثر الفني في العصر العباسي، دار الرفاعي، ط١، ٢٠٠٤، ص٥١.

(١٤) س. د جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تر: عطية القوصي، وكالة المطبوعات الكويت، الكويت،١٩٨٠، ص٦٠.

(١٥) أحمد أمين ، ضحى الإسلام، ١٨٨/١.

(١٦) محمد كرد علي، أمراء البيان، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد: القاهرة، ط١، ٢٠١٢، ص١٠٧-١٠٨.

(١٧) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول، دار المعارف القاهرة، ط١٦، ١٩٦٦، ٥٢٢.

(١٨) خليل مردم بيك، ابن المقفع (من أئمة الأدب)،١٩٣٠، دمشق، ط١ ،١٩٣٠، ص٦٢.

(١٩) الجاحظ أبو عثمان عمرو بن محبوب (٢٥٥هـ)، رسائل البلغاء، دار الحداثة، بيروت،ط١، ١٩٨٨، ص ٩-١٢. وجدير بالذكر أن ابن الفقيه أتى على ذكر عظماء فارس، فقال:"... فلم يبق في الإسلام منهم شريف يذكر إلا أن يكون عبد الله ابن المقفع والفضل بن سهل" (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت ٣٦٥)، البلدان، المحقق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت،ط١، ١٩٩٦، ص٥٠٧) وذهب الجاحظ إلى " أنه كان يؤلف

الكتاب الكثير المعاني الحسن النظم فينسبه إلى نفسه، فلا يرى الأسماع تصغي إليه ولا الإرادات تيمم تحوه، ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة ثم ينحله عبد الله بن المقفع أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدمين ومن قد صارت أسماؤهم من المصنفين فيقبلون عليها ويسارعون في نسخها لا لشئ إلا لنسبتها إلى المتقدمين" (أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، دت،١/٦٦-٦٧) وقد ذكر صاحب الفهرست أن بلغاء الناس عشرة بدأهم بابن المقفع، (أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي ابن النديم (ت ٤٣٨هـ)، الفهرست، المحقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٩٧، ص١٥٨).

(٢٠) عبد الحكيم باليغ، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، مكتبة الأنجلو المصرية، بيروت، ١٩٥٥، ص١٥٤.

(٢١) عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢هـ)، الأدب الصغير والأدب الكبير، دار صادر ، بيروت،٩٨.

(٢٢) المصدر نفسه، ص٩٨.

(٢٣) المصدر نفسه، ص٩٨.

(٢٤) المصدر نفسه، ص٩٩.

(٢٥) محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ ٣/٣٧٧،٣٧٨.

(٢٦) ابن المقفع، الأدب الكبير، ص٩٩.

(٢٧) المصدر نفسه، ص٩٩.

(٢٨) المصدر نفسه، ص٩٩.

(٢٩) أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علو الدين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دت، ج٣/٥٣. وتعرف الأخلاق أيضاً: " حال للنفس، داعية ألى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج ... ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب، وربما مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر عليه أولا حتى يصير ملكة وخلقا" أحمد بن محمد بن يعقوب ابن مسكويه (ت٤٢١هـ)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تقديم حسن تميم، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ص٥١.

(٣٠) ابن المقفع، الأدب الكبير،ص١٠٢.

(٣١) المصدر نفسه، ص١٠٢

(٣٢) المصدر نفسه، ص١٠٢.

(٣٣) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، اللطائف والظرائف، دار المناهل، بيروت، ص١٠٢.

(٣٤) المصدر نفسه،ص١٠٦.

(٣٥) المصدر نفسه، ص١٣١.

(٣٦) المصدر نفسه، ص١٠٠.

(٣٧) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، علق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣ ،١٩٩٢، ص٤٦.

(٣٨) ابن المقفع، الأدب الكبير، ص١٠٠.

(٣٩) المصدر نفسه، ص١٢٧ .

(٤٠) المصدر نفسه، ص١٠١.

(٤١) عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، دط، دت، ص٦٧.

(٤٢) ابن المقفع، الأدب الكبير،١٠٣.

(٤٣) المصدر نفسه، ٨٨-٨٩.

(٤٤) زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤، مادة حور، ص١٦.

(٤٥) ابن المقفع، الأدب الكبير، ص١٣٢.

(٤٦) المصدر السابق، ص ٩٠.

(٤٧) المصدر السابق، ص ٩١.

(٤٨) عاشور المنصف، التركيب عند ابن المقفع في مقدمة كليلة ودمنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١، ١٩٨٢، ص٨٠.

(٤٩) ابن المقفع، الأدب الكبير، ص٨٨-٨٩.

(٥٠) المصدر نفسه، ص١٢٣.

المصادر والمراجع:

- أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.
- أحمد بن محمد بن يعقوب ابن مسكويه (ت٤٢١هـ)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تقديم حسن تميم، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢.
- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، علق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.
- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن محبوب (٢٥٥هـ)، رسائل البلغاء، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٨٨.
- أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علو الدين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دت.
- أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، دت.
- خليل مردم بيك، ابن المقفع (من أئمة الأدب)،١٩٣٠، دمشق، ط١، ١٩٣٠.
- دورثي ليدزدار، فن التحدث مع الآخرين بلباقة، الفاروق للاستثمارات الثقافية، الجيزة، ٢٠٠٦.
- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤.
- س. د جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تر:عطية القوصي، وكالة المطبوعات الكويت، الكويت،١٩٨٠.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول، دار المعارف القاهرة، ط١٦، ١٩٦٦.
- صالح بن عبد الله بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، مكة، ط١، ١٩٩٤.
- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠.
- عاشور المنصف، التركيب عند ابن المقفع في مقدمة كليلة ودمنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١، ١٩٨٢.
- عبد الحكيم بليغ، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٥، القاهرة.
- عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧.
- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، اللطائف والظرائف، دار المناهل، بيروت.

- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت ٣٦٥)، البلدان، المحقق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٦.
- عبد الله التطاوي، الحوار الثقافي، مشروع التواصل والانتماء، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦.
- عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢هـ)،الأدب الصغير والأدب الكبير، دار صادر، بيروت.
- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، دط، دت.
- علي عبد الله الصياح، أدب التخاطب في ضوء السنة النبوية أصول وضوابط، قسم الثقافة الإلامية، جامعة الملك سعود، الرياض، دط، دت.
- عمر الدقاق، أعلام النثر الفني في العصر العباسي، دار الرفاعي، حلب، ط١، ٢٠٠٤.
- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، بهجة المجالس، وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
- أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (ت ٤٣٨هـ)، الفهرست، المحقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٩٧.
- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م).
- محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.
- محمد كرد علي، أمراء البيان، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد: القاهرة، ط١، ٢٠١٢.
- محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

المؤتمرات:

- صالح أبو إصبع، عز الدين مناصرة، محمد عبيد الله، الحوار مع الذات، أوراق المؤتمر العالمي الثامن لكلية الآداب والفنون، جامعة فيلادلفيا، ٢٨- ٣٠ تموز (يوليو) ، ٢٠٠٣.